

عصر سلاطين المماليك^(١)

تأليف الأستاذ محمود رزق سليم

أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية

بقلم الشيخ محمد رجب البيوى

—>>><<<—

عرفت صديق الأستاذ الجليل محمود رزق سليم — أول ما عرفته — شاعراً مطبوعاً ، ينظم القصائد العاصرة في شتى الأغراض الوطنية والاجتماعية والمطافية ، ولقد قرأت له منذ أمد بعيد ديوانه الرائع « ونحي الزبيح » فأعجبت ببديعته المشرقة وتفكيره المستقيم ، وعاطفته الدافقة الجياشة .

وعرفته — ثانياً — أديباً منصفاً يسوق آراءه الناضجة ، معترزة بأدلتها المقتنة ، وبراهينها الدامنة ، وذلك حين قرأت له منذ سنوات ، مصنفه ، القيم عن الأدب الفاطمي وما يليه ، فرائق منه إيجازه البليغ ، وتحليله الدقيق ، ونماذجه الجيدة المختارة من حر القول ، وما ثور البيان مما يدل على ذوق محمود ، وطبع سليم . وهانذا أعرفه — للمرة الثالثة — مؤرخاً دقيقاً يكتب عن حقبة مظلمة من التاريخ المصري ، فيكشف القناع في براعة ، ويميط اللثام في إقناع ، فلقد قرأت كتابه الأخير « عصر سلاطين المماليك ونتاجه الملى والأدبي » ففرجت منه بذخيرة ثمينة من الحقائق التاريخية ، كانت محبوبة عن الناس ، مستورة في غوائس حالكه من الإسهام ، حتى جاء المؤلف فاستنطق المخطوطات المتينة وقرأ الطبومات المديدة ، وتنقل بين المكاتب المربية باحثاً فاحصاً ، وقد حاله التوفيق فأصدر موسوعة حافلة من هذا العصر الفامض ، تقع في أربعة أجزاء ضخمة . بلغ القسم الأول منها — وهو الذى تقدمه الآن — سبعمائة صحيفة دافقة بالمعلومات الغزيرة ، في تركيب سلس وترتيب دقيق .

ولقد وفق الأستاذ محمود في إختيار هذا العصر بذاته ، فقد مر به الكاتبون عابسين كللين ، ومن ألم به منهم اللامة يسيرة ، قسا عليه قسوة عانية في حكمه ، فجرده من الهاسن ، ووصحه بما هو

(١) الجزء الأول . مجلدان في ٧٠٠ ص

برىء منه ، وذلك ما دفع المؤلف إلى كتابة موسوعته الحافلة فأسهب واستطرد ، وناقش وجادل ، وعلل وحلل ، ثم أصدر حكمه النهائى تنطق أدلته بالحق ، وتعترف أسانيدته بالصدق .

يقول المؤلف في مقدمة كتابه عن هذا العصر المغبون « واتفد راعنى ما أصابه من جفاء ، وهالنى ما ناله من صد ، وما رى به حيفاً من أنه عصر ظلمة وتأخر ، وانحطاط وتقليد مع أنه جليل الخطر ، عظيم الأثر ولم تقدم لنا منه الكتب الحديثة إلا صياغة لا تنفع غله ، ونمالة لا تروى طالب نشوة ، لذلك أحببت أن أدرسه ، وأطيل الوقوف بماله حتى أصل إلى قرار الحق فيه ، وعوات على الرجوع إلى ما كتبه بنوه الذين عاشوا فيه ، آتيا البيوت من أبوابها ، فهم أصدق حديثاً ، وأقرب مرجحاً ، وأجمل نبهوى ، وأغرائى البحث والقراءه حتى وجدتني غارقاً في محيط من مؤلفات لا عدد لها ، فيها الفنية لكل أديب ، والنهج لكل ناهج ، وهى كالبحر لا ينضب معينه ، وكالسيل لا تفيض عيونه ، حينئذ انبهرت عيني ، وماجت الآمال في نفسى موجاً ووددت لو استطعت أن أضع موسوعة جامعة في أدب هذا العصر تكون منه للقارىء بمثابة المائدة الشهية التى تضم ألف طعام وطعام .. »

ولقد قصر المؤلف هذا الجزء على التاريخ السياسى للعصر المملوكى ممهداً له بكلمة موجزة عن التاريخ المصرى من العهد الفرعونى إلى عهد المماليك ، ولجأ إلى الإسهاب حين تكلم عن أصل السلاطين ، وكيف انتقل إليهم الحكم من الأيوبيين ، ولم يترك من رجال الدولتين (البحرية والبرجية) مملوكاً حاكماً دون أن يخلصه بترجمة وافية مذبلة بالمراجع التى ورد إليها الكاتب ، وقد اهتم كثيراً برجال السلطنة البارزين كالظاهر بيبرس وقلاوون والفورى وطومان باى ، ثم عرج على نواب السلطنة فأفرد لهم أكثر من مائتى صحيفة تنطق بأعمالهم البارزة ، وتسجل على المحسن إحسانه ، وعلى المسىء إساءته في دقة وشمول .

على أنى أخالف الأستاذ في ناحية هامة تشيع في مؤلفه ، فقد حرص كل الحرص على أن يترجم لكل من ولى السلطنة أو نواب عنها وكذلك من تحدث عنهم فيما بعده من القضاة والخلفاء وفى هؤلاء جميعاً من لا يستحق أن يكتب عنه سطر واحد ، حيث كان فرداً عادياً ، لم يخلف أثراً ، ولم تحدث في عهده من المفاجآت

من التتار والإفرنج ، ورصد الأوقات وبذل الأموال ، والثانية احتقار السلاطين للشعب وإهمال حقوقه السياسية وفداحة الضرائب وانتشار الجهل والأوبئة والزلازل ، وذلك جميل من باحث متحمس كتب كتاباً ليمجد العصر المملوكي فدفعته الحقيقة إلى الاعتراف بالواقع المرير .

وبعد فلقد قرأت هذا الكتاب من ألفه إلى يائه ، فرأيت من الواجب أن ألفت الأنظار إلى مادته الغزيرة ومعلوماته الضافية راجياً أن يعمل مؤلفه الفاضل على إنجاز ما لم يطبع من أجزائه فنحن إليها في ظمأ شديد . جزاء الله عن صبره الدائب ، وبجهوده الشاق أطيب جزاء وأوفاه .

محمد رجب البيومي

(الكفر الجديد)

فليخ الأدب العربي

للأستاذ الزيات

نفدت الطبعة العاشرة من هذا الكتاب
أما الطبعة التي تباع الآن في البلاد العربية

فاحترس منها

أنها طبعة مزيفة فيها النقص والخطأ والتعريف
والتشويه زيفها أحمد الكنيبي في القاهرة

انتظر الطبعة الحادية عشرة قريباً

طبعة أنيقة صحيحة فيها زيادات كثيرة

ولاسيما في العصرين العباسي والحديث

السياسية ما يدعو إلى الحديث عن زمن ولادته ، أو مدة حياته ، أو آونة وفاته ، وإنما ولي وعزل وكأنه لم يولد ، فلم إذن نتعب أنفسنا في تراجم أصنام آدمية ، قذف بها الزمن في قرار سحيق !!

ومن المؤرخين من يسهب في الحديث عن الحكم والرؤساء دون أن يتعرض للحياة الاجتماعية في العصر الذي يؤرخه ، وكأنه يؤمن بأن تاريخ الشعب يتمثل في تاريخ ملوكه ، ولكن الأستاذ محمود رزق يفتن إلى خطأ هذا الوهم ، فيخصص القسم الثاني من الكتاب بالكلام عن الناحية الشعبية ، فيتعرض للتقاليد والعادات التي شاعت في المجتمع المصري ، إذ يصف حفلات الزواج والمآتم والختان ، ويتحدث عن ليال السمر وأيام الأعياد والمواسم ، وخروج الحمل وعودته ، كما يتتبع اعتناء تاماً بأخبار النيل والفيضان فيتحدث عن الجسور والترع والقنايس ، ويميل إلى وصف الاحتفال بوفاته السنوي ، وإن كان المؤلف لا يجيد — أيضاً — عن استقصائه الشامل فهو يملأ أكثر من عشرين صحيفة بأرقام الصمود والهبوط وتواريخ الزيادة والنقص ، وهذه مغالاة لا تفيد القارئ في شيء وما دامت هذه الصفائف العديدة تسير على وتيرة واحدة فيمكن أن يسطر الكاتب نموذجاً مختصراً منها على سبيل المثال ولا أكنتم إغجابي بالفصل القيم الذي كتبه المؤلف الفاضل عن القضاء فقد استحقاه من أصنى المراجع ، وأبدع في عرضه إبداعاً صائباً ، فوصف جلوس السلطان للقضاء ، ونظرة في الظالم والخصومات ، ودلف إلى حقه الشرعي في مصادرة الأملاك ، وتدخله الرسمي في أحكام القضاء ، مبيناً بعض ما حدث من مشادة عاتية بين الحاكم والمحكوم ، ثم انتقل إلى القضاء الشرعي ، وكيف اختص به الشافعية بادية الأمر ؟ ثم اشترك فيه علماء المذاهب الأربعة على السواء ، وما شهور الشافعية إزاء ذلك ؟ ومن هو صاحب الحق في العزل والتعين ؟ وكيف كان يحدث ذلك ؟ وبعد جولة ممتعة في هذا المضمار ، ختم فصله الجليل بطائفة من التراجم الموجزة لأعلام الفقه والتشريع ، كل ذلك في سلامة ووضوح .

واقعد كان الأستاذ متصفاً كل الإنصاف حين تعرض إلى محاسن هذا العصر ومساوئه فذكر من الأول صد الهجمات المعادية

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات القاهرة طبعة ١٩٤٨

يمكنكم أن تميزوا الأماكن التي تختارونها للإعلان عن أعمالكم في دليل تليفونات القاهرة الذي سيصدر في غضون سنة ١٩٤٨ والإعلان في الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون استئجارها بأسماء زهيدة .

ولزيادة الايضاح اتصلوا

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة بمحطة مصر

مُطَبَّعَاتُ السَّالِةِ